

تحليل نقدي لقصيدة حسان بن ثابت

❖ الشاعر حسان بن ثابت:

هو حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري من بني النجار، يلقب بشاعر الرسول وشاعر الإسلام. وقد حفظ الخزرج لشاعرهم حسان فضله، وقَدروا قدره في الدفاع عنهم، حيث كان لشعره دور يفوق دور السيوف والرماح والفرسان.

كما اشتهر حسان بمدح الغساسنة قبل الإسلام، وقد كانوا أوفياء له حتى بعد زوال ملكهم فكانوا يرسلون له مكافأة سنوية حتى بعد إسلامه.

يطلق عليه صاحب الحياتين؛ حياة الجاهلية التي عاش فيها ستين عاما، وحياة الإسلام التي عاش فيها ستين عاما أيضا.

كرس حسان حياته لأهم قضية في حياته؛ هي قضية الدين الجديد الذي اعتنقه، وحمل لواء الدفاع عنه وعن رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، كما حمل لواء هجاء الكفار خاصة بعد قول الرسول(ص) له: اهجم ومعك روح القدس.

وقد كان حسان شاعر الأنصار في الجاهلية، كما كان شاعر النبي في الإسلام. وترجع أهمية حسان إلى أنه مؤسس الشعر التاريخي، ولاسيما الإسلامي؛ لأنه حفظ لنا أسماء المعارك بين المسلمين والمشركين، وذكر أسماء الصحابة، وأسماء أعداء الإسلام فكان أشبه بشاعر الدولة الرسمي: يؤرخ ويحصى ويقوم بالدعاية، ويناضل، فقرن الشعر بالتاريخ.

❖ مناسبة النص:

في العام السابع من الهجرة عقد صلح الحديبية بين الرسول(ص) وبين قريش، على أن يدخل المسلمون مكة للحج بعد عام ولكن قريشا نقضت العهد فجهز الرسول(ص) جيشا قويا لمحاربة المشركين، وفتح مكة. ولما كان الشعر في العصور القديمة هو وسيلة الإعلام العامة، فقد نزل ميدان الحرب، واستخدمته الأطراف المتحاربة وأمر الرسول به، فقال: اهجم يا حسان فإن شعرك أشد عليهم من وقع السيوف، لذلك انبرى حسان(ص) يهجو قريشا، ويشيد ببطولة المسلمين؛ مهاجرين وأنصار وبشجاعتهم، ويعلن تصميمهم على قتال المشركين وفتح مكة ما لم توافق قريش على دخول مكة، وأدائهم العمرة، ويرد على أبي سفيان بن الحارث، الذي هجا النبي(ص).

❖ العاطفة المسيطرة على النص:

عاطفة صادقة حارة منبعها:

- حب النبي صلى الله عليه وسلم، واعتزازه بالإسلام.

كما نلمح:

-الإعجاب بخيول المسلمين وبسرعتها 0

- الفخر بشجاعة المسلمين 0

- السخرية اللاذعة من المشركين وتوبيخهم 0

- السخرية والاستهزاء من أبي سفيان 0

❖ الفكر الرئيسية:

1- (الأبيات من 1-5) الوقوف على الأطلال يثير في النفس الشوق إلى الأحبة 0

2- (الأبيات من 6-10) الخمر تبرز صورة حية للسيادة والقوة 0

3- (الأبيات من 11-15) بالتخطيط السليم والعزيمة القوية ينتصر الحق على الشرك.

- 4- (الأبيات من 16-18) الدعوة الإسلامية خير للبشرية.
5- (الأبيات من 19-25) التصدي لأعداء الإسلام واجب ديني.

❖ الشرح والتحليل :-

الأبيات من (1-10):

- تبدأ القصيدة بداية طللية حيث يذكر أماكن قد درست ملامحها بسبب الرياح والأمطار، فأصبحت ديار بني الحساس خاوية من أهلها بعد أن كانت عامرة بهم، كما كانت مروجها تعمر بالنعم والشاء.
وتخلص الشاعر بسرعة وببراعة من مقدمته الطللية للحديث عن الخمر، فخاطب الصاحب - كعادة الشعراء القدامى- طالبا منه أن يترك تلك الديار الخربة التي يطارده ويؤرقه فيها طيف الحبيبة (شعشاء)، التي أسرته بحبها، فلا يستطيع نسيانها إلا بخمر معتقة مخلوطة بالماء والعسل وعصير التفاح، ثم يلقون باللوم على الخمر إذا ما أخطأوا بقول أو فعل، فهذه الخمر متى شربوها شعروا كأنهم ملوك أو أسود لا يضعفهم لقاء العدو.

ويقول بعض مؤرخي الأدب أن هذه المقدمة الطللية الخمرية قيلت في الجاهلية؛ فقد روى أن حسانا مرّ بفتية يشربون الخمر في الإسلام، فنهاهم عنها فقالوا: والله لقد هممنا بتركها فزيتها لنا قولك:
ونشربها فتركنا ملوكا وأسدا لا ينهنها اللقاء

فقال حسان: والله لقد قلتها في الجاهلية، وما شربتها منذ أسلمت -لذلك قيل إن القصيدة قيلت في زمنين-

الأبيات من (11-15):

يوجه الشاعر خطابه إلى قريش والكفار داعيا على خيول المسلمين بالموت قائلا: لا عاشت خيلنا إن لم تهاجمكم من أعلى مكة-وهذا ما حدث فعلا يوم الفتح -وعلى أكتافها رماحنا المتعطشة إلى دمانكم، وستنهزمون فلا نجد إلا نساءكم يحاولن ردّ خيولنا بخمرهن. فإن استسلمتم تم الفتح، وانكشفت الغمة، وإلا فانتظروا قتالا مريرا ينصر الله فيه المؤمنين.

الأبيات من (16-25):

يفخر الشاعر بأن ملائكة الله، تؤيد جيش المسلمين وعلى رأسهم جبريل (الروح القدس)، الذي لا يساوى قوته أحد من البشر ويحذر الشاعر المشركين إن لم يستسلموا لدعوة محمد كما أمرهم الله بذلك.
 ويفخر الشاعر بأن الله قد هيا لهذا الدين جنودا أقوى على القتال، معتادين على لقاء الأعداء وهم الأنصار الذين يتعرضون كل يوم للسب والقتل من قبل المشركين، ولكنهم لا يستكينون، ولا يضعفون بل يقابلون هجاءهم بقوافيهم اللاذعة المفحمة، ومن صمد من الكفار للقتال ضربوه وعصفوا به.
ويختم بأن يطلب من الكفار أن يبلغوا أبا سفيان أنه طبل أجوف وجبان رعديد لا وزن ولا قيمة وأن سيوفنا قد استعبدته وتركت كفار بني عبد الدار عبيدا للإمام فهو عبد هجا محمدا، وردّ عنه حسان محتسبا الجزاء من الله.

❖ التعليق على النص:

1-التعبير:

أ- استخدم الشاعر المعجم الجاهلي مثل: الأماكن الجاهلية: ذات الأصابع-الجواء-عذراء-بني الحساس قفر - الروامس - نعم - شاء-تثير النقع - بيارين الأسنة - مصعدات - الأسل الظماء..... إلخ
ب- كما استخدم المعجم الإسلامي حيث تأثر حسان بألفاظ القرآن الكريم ومصطلحات الإسلام مثل: اعتمرنا - أمين الله - جبريل - يعز الله فيه من يشاء - عند الله - قد أرسلت عبدا - يقول الحق إلخ

ب- استخدم الشاعر المعاني التي كانت سائدة في العصر الجاهلي من مثل: تلطمهن بالخمير النساء-فبحكم بالقوافي من هجانا.

- وقد مزج بينها وبين المعاني الإسلامية مثل: وإما تعرضوا عنا اعتمرنا، وكان الفتح.
وقد ظهر الاتساق والانسجام بين الألفاظ بين الـ (ها) في الفعل (تروها) والألفاظ (مصعدات) و (متمطرات) فالـ (ها) تعود على الخيل في البيتين (11 و 12)، وهذا إعلاء لدور الخيل في القتال دون إهدار لحقها من العناية والاهتمام.

- استخدم الشاعر (نا) الفاعلين في الأبيات (11-13-14) ليعبر عن دور الجماعة في صناعة النصر، وليعطي من صوت الجماعة مما يدل على سيطرة النظام القبلي القائم على الولاء للقبيلة والجماعة، ولا مكان فيه للزعامة الفردية.

- كما استخدم (الفاء) في (فاصبروا - فقوموا) لتدل على الترتيب والتوالي وربط المعاني في القصيدة ببعضها، وقد بالغ الشاعر في وصف سرعة الخيل ليخيف العدو؛ فهو يمدح الخيل، ويصف شوقها للحرب، فهي ماضية لا تنتهي وعلى أكتاف فرسانها الرماح المتعطشة للدماء.

- استخدم الشاعر الجموع ليوحى بالكثرة مثل: مروجها، أكتافها، جيانا سيوفنا.

- استخدم الشاعر النكرات للتعظيم كما في: (أرسلت عبدا) و (ديار) و (خبياة) و (لجلاد يوم)

2- التصوير الفني في القصيدة والإيحاءات:

عفت ذات الأصابع: كناية عن الزوال والقدم

منزلها خلاء: كناية عن رحيل المحبوبة

ديار من بنى الحساس قفر: كناية عن رحيل أصحابها، -وهي توحى بالكآبة -

تعفيها الروامس والسماء: كناية عن سوء حال الديار -وعطف السماء على الروامس ليؤكد بشدة المؤثرات على الديار وتعددتها واختلافها.

خلال مروجها نعم وشاء: كناية عن الغنى والأنس، وعطف الشاء على النعم ليوحى بالتعدد والكثرة، وأيضا باختلاف الحاضر بشدة عن الماضي.

طيف يورقتي: استعارة مكنية فيها تشخيص، و(طيف) نكرة للتعظيم

ذهب العشاء: كناية عن دخول الليل، تؤكد على احساسه بالوحدة

شعفاء: توضيح للإبهام في (طيف)

التي: أفادت التعظيم

قد تيمته: توحى بمدى تأثير المحبوبة عليه.

فليس لقلبه منها شفاء: كناية عن تمكن الحب منه، وهذه الجملة نتيجة لما قبلها.

خبياة: كناية عن الخمر-توحى بأنها خمر معتقة -

نوليها الملامة: استعارة مكنية حيث شخص الخمر في صورة إنسان يوجه إليه اللوم إن فعلوا ما يلاموا عليه واتهموا بالسكر

هن الفداء: تشبيهه ببلغ فيه تجسيد

نشربها فتركنا ملوكا... كناية عن تأثير الخمر على الشاعر وأصحابه

تركنا ملوكا - وأسدا: تشبيهه يوضح تأثير الخمر عليهم.

تشير النقع: كناية عن كثرة الخيل وسرعتها

يبارين الأسنة: كناية عن سرعة الخيل واستعدادها للقتال

على أكتافها الأسل الظماء: استعارة مكنية، حيث شبهها بالوحوش المتعطشة للدماء

- تلطمهن بالخمير النساء: كناية عن هزيمة الكفار وهروبهم، فلم يبق بالميدان سوى النساء 0
انكشف الغطاء: استعارة تصريحية، تؤكد بزوال الشرك وأثره 0
(لنا في كل يوم من معد...سباب أو قتال أو هجاء): كناية عن ثبات المسلمين رغم المعاناة المستمرة.
فحكّم بالقوافي من هجانا: كناية عن تفوق شعراء المسلمين ومقدرتهم على المواجهة 0
القوافي: مجاز مرسل عن الشعر علاقته جزئية 0
نضرب حين تختلط الدماء: كناية عن الشجاعة والجرأة 0
أنت مجوف...نخب...هواء: تشبيهات بليغة توالى لتوحي وتؤكد على جبن وتفاهة وحقارة أبي سفيان 0
عبدا: كناية عن الرسول صلى الله عليه وسلم، توحي بمدى طاعته لله عز وجل 0

3- الأساليب:

- 1- مزج الشاعر بين الخير والإنشاء لإضفاء المزيد من الإثارة والتشويق والمتعة في القصيدة؛
- 2- من الأساليب الخبرية في القصيدة:
 - عفت ذات الأصابع، ديار بنى الحساس قفر، تعفيها الروامس والسماء: ليفيد الحزن والأسى على ما أصاب الديار.
 - تثير النقع - موعدها كداء: لتقرير قوة جيش المسلمين، وصدق نبينهم
 - نوليها الملامة، نشرها فتركنا ملوكا... يفيد الفخر بتأثير الخمر عليهم 0
 - تبارين الأسنة مصعدات - على أكتافها الأسل الظماء: يفيد الفخر بسرعة وشجاعة الخيل 0
 - روح القدس ليس له كفاء: يفيد الإعجاب بالقدرة الهائلة لجبريل عليه السلام التي لا ينهض لقوة ند من البشر 0
- 3- من الأساليب الإنشائية:
 - دع هذا: أسلوب أمر غرضه الالتماس 0
 - عدنا خيلنا: أسلوب خبري لفظا إنشائي معنى غرضه الدعاء على الخيل 0
 - اصبروا: أمر غرضه التهديد 0
 - قوموا صدقوه: أمر غرضه الحث 0
 - أبلغ أبا سفيان: أمر غرضه الاستهزاء، وعدم المبالاة.
- 4- استخدم الشاعر أساليب الشرط ليربط الأمور بنتائجها للإقناع، ومن أمثلة ذلك:

فإما تعرضوا عنا اعتمرنا وكان الفتح وانكشف الغطاء 0
- 5- استخدم الشاعر المؤكدات المختلفة، منها تقديم الجار والمجرور مثل:

ديار من بنى الحساس قفر تعفيها الروامس والسماء
لشعنا التي قد تيمته فليس لقلبه منها شفاء
إذا ما الأسربات ذكرن يوما فهن لطيب الراح الفداء

 - ومن المؤكدات: استخدام (قد) في الأبيات (5 و 17 و 19)
 - ومنها تكرار النفي في قوله: (لا نقوم ولا نشاء) مما يؤكد إصرار الكافرين وعنادهم 0
 - استخدم الشاعر أسلوب الالتفات في البيت (الثامن عشر) ليثير الانتباه -وقد تعدد هذا الأسلوب في أنحاء القصيدة جذبا للانتباه 0

4- المحسنات البديعية:

- نلاحظ قلة المحسنات في النص 0
- نجد التصريح في البيت الأول وهو يحدث أثرا موسيقيا 0

❖ النقد والتعليق العام على النص:

• غرض النص الأساسي:

الدفاع عن الدين الإسلامي ورسوله صلى الله عليه وسلم 0

- الأغراض الشعرية بالنص:

- اعتمد الشاعر على الأغراض التقليدية المعروفة كالبعاء على الأطلال في الأبيات الثلاثة الأولى

- الغزل في الأبيات من الرابع للعاشر

- غرض الوصف لجيش المسلمين من البيت (11-13)

- غرض التهديد والوعيد من البيت (14-15)

- غرض الهجاء في (12-13) ونلاحظ أن الهجاء هنا يمس الأخلاق ولا يمس الأعراض كما كان منتشرًا، ولحسان في الجاهلية هجاء قاس مقدع، ونلاحظ تغيير أسلوبه في الهجاء بعد إسلامه، وتأثره بتعاليم الدين الإسلامي.

- غرض المدح لجبريل والرسول(ص) في البيتين (16 و17)

- غرض الفخر بالأنصار في الأبيات (19 و20 و21)، وهو افتخار بقوة البيان والقدرة على الهجاء؛ أي هو افتخار أدبي بياني، وهو الميزة الجمالية للعرب جاهليين ومسلمين.

• الموسيقى في القصيدة:

1-الموسيقى الظاهرة الشكلية: الالتزام بوحدة الوزن والقافية، حيث كان البحر هو (الوافر): مفاعلتن مفاعلتن فعولن 0

الموسيقى الظاهرة التشكيلية: تعددت مصادرها: -التصريح في البيت الأول 0

- تكرار حرف السين في البيت الثاني، له أثر موسيقى خشن ينقلنا لأجواء الصحراء 0

- حسن انتقاء الكلمة المعبرة الموحية (عفت-خلاء-قفر.....).

2-الموسيقى الخفية: تعددت مصادرها كالتقديم والتأخير في قوله:

لنا في كل يوم من معد سباب أو قتال أو هجاء ...

• الوحدة العضوية:

برغم تعدد الأغراض في النص، فإن الجو العام المسيطر على القصيدة هو الدفاع عن الدين والرسول صلى الله عليه وسلم، وكل الأغراض كرسّت من أجل ذلك، وما كان من الفخر والوصف والهجاء إلا بسبب عاطفة حب الرسول والرسالة. لذلك نرى أن الوحدة العضوية شبه متحققة في القصيدة فقد ترابطت الأفكار فيها؛ حيث بدأ الشاعر بدايةً ظلّية تخلص منها ببراعة ليهرب من طيف المحبوبة الساكن بالأطلال فلجأ للخمر لينسى ما يسببه حبها له من الآم.

ثم يترك هذا الجو الجاهلي فيبدأ في وصف الخيل والجيش، فنجد ترابطاً بين الأبيات (11 و12 و13 و14 و15) وبين البيتين (17 و18) وبين الأبيات (19 و20 و21) والبيتين (22 و23).

• شعر حسان بين الجاهلية والإسلام:

يرى بعض النقاد أن شعر حسان في الجاهلية أقوى من شعره في الإسلام، ويرون أن شعره في الإسلام قد أصابه اللين، فالأصمعي يقول: " الشعر نكد بابه الشر، فإذا دخل في الخير ضعف، وهذا حسان فحل من فحول الجاهلية، فلما جاء الإسلام سقط شعره".

- يرى بعض النقاد أن شعره الجاهلي في الفخر جزل اللفظ فخم، يميل إلى الخشونة والمبالغة كقوله:

*سائل بنى كرب وسائل تبعا عنا وأهل العتر والأزلام

ومثال فخره في الإسلام:

* لساني صارم لا عيب فيه وبحري لا تكدره الدلاء

- وما أنصف النقاد حسانا، بل ما أنصف حسان نفسه حين أجاب من قال له يوما: "لان شعرك، أو هرم شعرك في الإسلام. فقال حسان: يا ابن أخي إن الإسلام يحجب عن الكذب، وإن الشعر يزينه الكذب".
- ونحن نرى أن حسانا شاعر مطبوع في شعره الإسلامي، كما كان مطبوعا في شعره الجاهلي، غاية الأمر أنه تأثر بالأسلوب القرآني الناصع البيان، المطرد السياق الواضح الطريقة السهل الممتنع كما تأثر ببشاشة الإسلام فلان جانبه وسلست ملكته الفنية، فانظروا إلى قوله مبتهلا إلى الله:
* تعاليت رب الناس عن قول من دعا سواك إلها أنت أعلى وأمجد

❖ ختام:

كيف يوصف أسلوب بالضعف واللين وهو يستلهم ألفاظ القرآن الكريم ومعانيه؟؟؟؟!!!!!!

إعداد المعلمة: أ. مها معوض سعيد
ثانوية مشرف للبنات
رئيسة القسم: أ. رواء أحمد